الخاتمـــــة

عرفنا - بعد قراءة هذا البحث - تاريخ الأزهر السياسى خلال ما يقرب من ثلاثة قرون ، ورأينا تلك المواقف العظيمة التى وقفها علماؤه فى ميدان المعارضة السياسية والإصلاح فى الديوان العالى ، وفى الشارع المصرى .

كما رأينا شجاعتهم ونبلهم ، وهم يناضلون من أجل حماية رجال الأحزاب السياسية المهزومة المحتمين بالجامع الأزهر ، والذين لا جريرة لهم إلا الخُصُومة السياسية .

كذلك رأينا جهودهم الفعَّالة المؤثرة ، والتى أدَّت إلى إسقاط حكومات عثمانية جائرة وأحزاب مملوكية مُتسلِّطة .

كما رأينا قيادتهم الحكيمة للعديد من الانتفاضات والثورات الشعبية ودفاعهم عن الحقوق العامة ، كحق المجتمع فى العلم والتعليم ، وإقامة الشعائر والتكافل ، وكحقوق التجار والزرَّاع ، وكحق المسلمين فى مصر وشمال إفريقيا فى أداء فريضة الحج فى طرق آمنة وبوسائل مريحة .

كما عرفنا نضالهم لإنصاف المظلومين ، ودفاعهم عن حق الفرد وكرامته وتمكنهم من طرد عسكريين كبار من مناصبهم لاعتدائهم على الأفراد .

وليس لى بعد هذا أن أصف المكانة التى تبوأها علماء الجامع الأزهر فى هذه الحقب من التاريخ ، لأن وقائع التاريخ هى التى تحدَّثت عن هذه المكانة بجلاء ، ووصفتها بوضوح .

غير أنه من جميل القول أن أختتم بحثى هذا ببعض آيات قرآنية وأحاديث نبوية بيَّنت مكانة العلماء وقَدْرَهم عند الله ، وعند ذَوى البصائر من الناس ، والأسبابَ التى رفعتهم إلى تلك المكانة السامية .

فالعلماء أعظم الناس إيماناً وأبعدهم عن الشبهات .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ (١) .

وهم المعلنون لكلمة التوحيد بعد الملائكة .

قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

وهم السبَّاقون إلى الإيمان ، إذا سمعوا القرآن خَرُّوا سُجدا وبُكياً .

قال تعالى : ﴿ قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ ، إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾ (٣) .

يعْرِفُونَ الحقَّ ، ويحفظون القرآن فى صدورهم .

قال تعالى : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٤) .

وقال جَلَّ شأنه : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥) .

من ساحاتهم تنبع الخشيةُ من الله عَزَّ وجَلَّ وتتحقق مراقبتُه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٦) .

---

(١) آل عمران : ٧ (٢) آل عمران : ١٨ (٣) الإسراء : ١٠٧ - ١٠٩
(٤) سبأ : ٦ (٥) العنكبوت : ٤٩ (٦) فاطر : ٢٨

هم أسرع الناس فهماً لكلام الله عَزَّ وجَلَّ وإدراكاً لآياته الكونية وعجائب خلقه .

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ (١) .

وقال جَلَّ شأنه : ﴿ وَمِنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَوَات وَالْأَرْضِ وَاخْتلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (٢) .

رفع الله عَزَّ وجَلَّ قدرهم وأعلى ذِكْرهم .

فقال جَلَّ شأنه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّه ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ (٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى الْمَجَالِسِ فَافْسَحُواْ يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ ، وَإِذَا قِيلَ انشُزُواْ فَانشُزُواْ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٤) .

وقال النبى محمد ﷺ : « فضلُ العالِم على العابد كفضلى على أدناكم ، وإنَّ اللهَ وملائكته وأهلَ السموات والأرض ، حتى النملة فى جحرها ،وحتى الحوت ، ليُصَلُّون على معلمى الناس الخير » (٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنَّة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاءً بما يصنع ، وإنَّ العالم ليستغفر له مَن فى السموات ومَن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضلُ العالِم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء ، وإنَّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورَّثوا العلم ، فمَن أخذه أخذ بحظ وافر » (٦) .

❊ ❊ ❊

---

(١) العنكبوت : ٤٣ (٢) الروم : ٢٢ (٣) الزمر : ٩
(٤) المجادلة : ١١ (٥) رواه الترمذى . (٦) رواه أبو داود والترمذى .